ألف حكاية وحكاية (٨٢)

حكايات " أبو نحلة "

وحكايات أخرى

تأليف
يعقوب الشاروني

رسوم
عادل البطراوى

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي
الفجالة - القاهرة

لا يفهم سر سخريتهم !!

فى قريتى شارونة ، يعرفون جيدًا اسمَ "أبو نحلة". إنه فلاحٌ يزرعُ أرضَهُ "ذرة ". سمعَ يوماً عن مسابقاتِ الإنتاجِ ، فحاولَ أن تُنتجَ أرضُهُ كمياتٍ تفوقُ ما تنتجُهُ أرضُ غيرِهِ. لكن إمكانياتِهِ العقليةَ وخبراتِهِ المحدودةَ لم تسمحْ له أبدًا أن يصلَ إلى ما يُريدُ ، فلجأ سرًا إلى شراءِ الذرةِ من بعضِ المُزارعينَ فى بلدٍ مجاور، وضمَّها إلى إنتاجِهِ ، وحصلَ بذلك ذاتَ مرةٍ على جائزةِ الإنتاجِ!!



ثم ظهرَ مُزارعٌ آخرُ في بلدتِنا ، اسمُهُ "عبد المعين" ، راحَ يُتابِعُ بذهنٍ مُتفتحٍ الوسائلَ الحديثةَ لزيادةِ المحصولِ ، واستطاعَ أن يُحقِّقَ أعلى إنتاجٍ ، وأصبحَ مشهورًا بمواهبهِ المُتميِّزةِ في كلِّ مكانٍ!!

وأصابَ هذا النجاحُ عمَّنا "أبو نحلة" بنوعٍ من الهَوَسِ ، فكُلَّما قابلَ شخصًا يصيحُ بهِ: "عبد المعين يزرعُ في غيرِ أرضِهِ .. لقد سرقَ فدانًا من الإصلاحِ الزراعيِّ .. إنه يحقِّقُ نجاحَهُ وشهرتَهُ على أرضٍ مسروقةٍ!!"

في البدايةِ ، كانَ الناسُ يستمعونَ إليه في أدبٍ. أمَّا الآنَ ، فأهلُ قريتِنا يقابلونَهُ سائلينَ: "ما أخبارُ أرضِ عبدِ المعين يا" أبو نحلة؟!!"

ويُجيبُ أبو نحلةَ في حماسٍ ، وهو لا يفهمُ لهجةَ التهكُّمِ الواضحةَ في حديثِ المُتسائلِ: "لن أتركَهُ إلى أن يستردَّ الإصلاحُ أرضَهُ!!"

فينطلقُ الواقفون في ضحكاتٍ ساخرةٍ!! والغريبُ أن "أبو نحلة" لا يُريدُ أن يفهمَ ، حتَّى الآنَ ، سرَّ ضحكاتِهِم!!



"زهرة" وعمنا "أبو نحلة"

"أبو نحلة" مبسوطٌ منّى جداً، لأننى ذكرْتُ اسمَهُ فى إحدى قصصى، خاصةً وقد أشرْتُ إلى حكايةِ "عبد المعين وفدان الإصلاح"!!

وقد اتَّصلَ بى عمنا "أبو نحلة" من قريتى شارونة، وطلبَ منّى أن أعرِّفكم بابنتِه.

قلْتُ له: "ابنتُكَ حصلَتْ فى العامِ الماضى على الثانويةِ العامةِ، مثلُها مثلُ ٢٦٠ ألفَ شابٍّ وفتاةٍ، فما الجديدُ الذى أقولُهُ عنها للقراءِ؟!"

قالَ: "قلْ إنها أولُ فتاةٍ فى عائلةِ "أبو نحلة" تحصلُ على الثانويةِ العامةِ!"

قلْتُ له: "هذه مسألةٌ تهمُّ عائلةَ "أبو نحلة" وحدَها، ولا تهمُّ أىَّ قارئٍ آخرَ."

وعندما طالَ بيننا النقاشُ، قالَ فى ضيقٍ: "لكنَّ الناسَ كلَّهم يتحدَّثونَ الآنَ عن "زهرة" ابنةِ عبد المعين!!"



قلْتُ له: "الحكايةُ إذن أنك تُريدُ أن يتحدَّثَ الناسُ عن ابنتِكَ، لا لشيءٍ إلا أن زهرةَ ابنةَ عبد المعين نجحَتْ في عملِها بجمعيةِ خدماتِ محافظةِ المنيا!!"

قالَ: "هل يُرضيكَ أن كلَّ أهلِ مدنِ وقرى المحافظةِ، يتحدَّثون الآنَ عن زهرة، ويدعونها إلى زيارتِها، ويستمعون إلى نصائحِها وتوجيهاتِها، وابنتي أنا، الحاصلةُ على الثانويةِ العامةِ، لا يعرفُها أحدٌ؟!"

وبدأتُ أكتمُ ضحكاتي، خاصةً عندما أحسسْتُ لهجةَ العتابِ الشديدِ في حديثِهِ.

لكن باللهِ عليكم قولوا لي: ما الجديدُ الذي أقولُهُ لكم عن ابنةِ "أبو نحلة" ؟!

على أيةِ حالٍ، ها أنا قد حدَّثْتُكم فعلاً عنها، لعلَّ عمَّنا "أبو نحلة" يرضَى عنَّا!!



أبو نحلة عنده مليون جنيه

لا يعرفُ أهلُ قريتي كيف بدأتْ حكايةُ "أبو نحلة" والمليونِ جنيهٍ. يقولونَ إنه وقفَ ذاتَ يومٍ في "طابور المعونة" ليحصلَ على كيسٍ من الدقيقِ وعلبةِ سمنٍ، لكنَّ مُديرَ الجمعيةِ التعاونيةِ قالَ له وهو يضحكُ ضحكةً لم يفهمْ أبو نحلةَ ما فيها من سخريةٍ:



"أنتَ عندَكَ فلوسٌ بالكومِ في البنكِ، وتأتي لتأخذَ معونةً؟! اتركْها للمحتاجين!!"

وكانَ أبو نحلة يظنُّ أن فلوسَهُ التي في البنكِ سرٌّ لا يعرفُهُ إلا زوجتُهُ وابنتُهُ التي حصلَتْ على الثانويةِ العامةِ في العامِ الماضي، لكنْ ها هو السرُّ قد ذاعَ، حتى وصلَ إلى مُديرِ الجمعيةِ، وهو "غريب" عن البلدِ!!

وجلسَ أبو نحلةَ يفكّرُ، أو كما يقولُ أهلُ البلدِ "يستشير النحلة التي تزنُّ في مخّهِ!!"

وفى أولِ حفلِ زفافٍ يحضرُهُ بعدَ حديثِ مُديرِ الجمعيةِ ، سمعوه يقولُ:

"مع أننى أملكُ خمسينَ ألفَ جنيهٍ فى البنكِ ، لكننى لا أترددُ فى حضورِ أفراحِ أفقرِ ناسٍ فى البلدِ!!"

وفى يومِ مولدِ "سيدى أبو الكَرَم" ، سمعوه عندَ شُبّاكِ المقامِ يقولُ بصوتٍ سمعَهُ كلُّ مَنْ كانوا هناك:

"بحقِّ يومِ مولدِكِ يا سيدى أبو الكرم ، باركْ لى فى المائةِ ألفٍ التى فى البنكِ!!"

وأخيرًا ، كانَ يقومُ بواجبِ العزاءِ فى بيتِ ابنِ أختِ العمدةِ ، وانسابَ الكلامُ من فمِهِ كأنما بغيرِ قصدٍ ، قائلاً:

"ومع أن عندى مليونَ جنيه فى البنكِ ، لكنْ لابدَّ مع هذا أن أقومَ بواجبِ العزاءِ لكلِّ الناسِ فى البلدِ!!"



ولم يفهمْ أحدٌ العلاقةَ بين فلوسٍ يقولُ إنها فى البنكِ وواجبِ العزاءِ ، لذلك ضربَ أهلُ قريتى كفًّا على كفٍّ وقالوا: "ربُّنا يشفيهِ من زنِّ النحلةِ!!"

بقرة "أبو نحلة" فى المسابقة!!

فى قريـةِ الشيخ فضل ، المجاورةِ لقريتى شارونة ، لا يعرفونَ حكاياتِ "أبو نحلة". لكن عندما سمعوا أخبارَ المليـونِ جنيهٍ ، قالوا: "نضمُّ أبـو نحلة إلى لجنـةِ الخدماتِ العامـةِ ، فقد يتبرَّعُ لنـا ببعـضِ الأموالِ!!"

وكانَ أولُ شيءٍ فعلَهُ أبو نحلة فـى اللجنـةِ ، أن تقدَّمَ باقتراحٍ لإقامةِ مسابقةٍ لمَنْ يُرَبِّى أكبرَ بقرةٍ.

وفى يـومِ التحكيـمِ ، فاجأ أبـو نحلة اللجنةَ بأنـه هـو نفسَهُ قد تقدَّمَ للمسابقةِ بـالبقرةِ التـى يملكُـها ، بـل حشرَ نفسَهُ وجلسَ ضِمْنَ أعضاءِ لجنـةِ التحكيمِ!!

قـالَ لـه رئيـسُ اللجنـةِ: "مـا دمْتَ قد سمحْـتَ لنفسِـكَ بالاشتراكِ فـى المسـابقةِ ، فلا بدَّ أن تعتذرَ عن الاشتراكِ فى لجنةِ التحكيمِ."

وضحـكَ أبـو نحلـة ضحكتَـهُ المُصطَنَعـةَ وقـالَ: "وهـل الحضـورُ حـرامٌ؟ أحضـرُ ولا أشـتركُ فـى التحكيمِ!!"

وعندَ مرورِ بقرةِ "أبو نحلة" أمامَ اللجنةِ ، خجلَ الأعضاءُ من إبداءِ أيةِ ملاحظاتٍ عليها ، بل صاحَ أحدُهم: "يا سلامُ على تربيتِك يا عمّ!!"

هنا لم يُطِقْ "شاطر أبو النور" عضوُ اللجنةِ هذا النفاقَ ، فوقفَ صائحًا: "هذه البقرةُ تخرجُ من المسابقةِ ، لأن وجودَ صاحبِها معنا ، منعَ أعضاءَ اللجنةِ من إبداءِ رأيهم بحريَّةٍ!!"

ولم يكن أبو نحلة قد وضع في حسابه مثل هذه الشجاعة في إبداء الرأى ، فتظاهر بالغضب ، لكنه لم ينسحب من اللجنة!!

هنا همس شاطر أبو النور قائلا: "لن ينفعك زن النحلة هذه المرة يا فالح ، ولن نتركك هنا ، كعادتك ، تسوق الهبل على الشيطنة، وتغتصبَ نصرا لا تستحقه!!"



النحلة التى تزن فى مخه!!

أبو نحلة يتسلى بكتابة الشكاوى ، وأكثر شكاواه ، كانت ضد "عبد المعين".

وفى الأسبوعِ الماضى ، كتبَ ضدَّهُ الشكوى رَقْمَ واحدٍ بعدَ المائةِ ، يكرِّرُ فيها حكاياتِهِ حولَ نجاحِ عبد المُعينِ فى تحقيقِ أكبرِ إنتاجٍ للذرةِ فى مصرَ ، على أرضٍ مسروقةٍ من الإصلاحِ الزراعىِّ!!

وبعدَ أن أرسلَ الشكوى . وصلَهُ تلغرافٌ من أخيهِ الذى يعيشُ فى قريةٍ قربَ الإسكندريةِ ، بأنه فى مستشفى بالإسكندريةِ لإجراءِ جراحةٍ عاجلةٍ.

وعندما قرَّرَ أبو نحلة السفرَ ، قالَتْ له ابنتُهُ: "لم يسبقْ أن رأيْتُ الإسكندريةِ .. خُذْنى معك."

قالَ لها: "سيكلِّفُنا هذا الكثيرَ!"

لكنها أصرَّتْ ، فاصطحبَها معه ، وهو يفكِّرُ كيف يتجنَّبُ زيادةَ النفقاتِ.

ووصلا الإسكندريةَ فى التاسعةِ مساءً ، وهما لا يعرفانِ أين يبيتانِ.



قالَتِ ابنتُهُ: "أنا أعرفُ تليفونَ بيت شقيقِ عبدِ المعين ، فابنتُهُ زميلتي."

وسرعانَ ما كانَ أبو نحلة يقولُ في التليفونِ: "عبد المعين أعزُّ أصدقائي .. إننا لا نفترقُ أبدًا."

وبعدَ ساعةٍ كانَ يتناولُ العشاءَ هو وابنتُهُ في منزلِ شقيقِ عبدِ المعين.

وفي الصباحِ اعتذرَ أخو عبد المعينِ عن عملِهِ ، ليرافقَ "أبو نحلة" إلى المستشفى .. كلُّ هذا وأبو نحلة يردِّدُ: "يا سلامُ على عبدِ المعين .. إنه أعزُّ صديقٍ!!."

واستمرَّ يردِّدُ هذه العبارةَ خمسةَ أيامٍ كاملةٍ ، ومن وقتٍ إلى آخرَ يهمسُ في أذنِ ابنتِهِ: "الحمدُ لله .. لم تنقصْ محفظتي جنيهًا واحدًا."



وفي اليومِ السادسِ ، عادَ إلى شارونة. وكانَ أولُ ما فعلَهُ ، أنه جلسَ يكتبُ الشكوى الثانيةَ بعدَ المائةِ ضدَّ عبدِ المعين!!

عندئذٍ ضحكَ الناسُ في قريتي ، وقالوا في سخريةٍ: "النحلةُ عادَتْ تزنُّ في مخِّهِ!!"

"أبو نحلة" و"زكيبة المجلات"!!

رغمَ فوز "أبو نحلة" بجائزةِ الإنتاجِ ، نتيجةَ ضمِّهِ ما اشتراهُ من محصولِ غيْرِهِ إلى إنتاجِهِ ، فقد طلبوا منه حضورَ تدريبٍ تُشرِفُ عليه خبيرةٌ أمريكيةٌ مُتخصّصةٌ في زراعةِ الذرةِ.

وفي قاعةِ التدريبِ ، دخلَ أبو نحلة يحملُ "شوالاً" ثقيلاً ، أثارَ دهشةَ الحاضرينَ!!

وما إنْ بدأتِ الخبيرةُ المشهورةُ حديثَها ، حتى قاطعَها أبو نحلة قائلاً: "أنا قرأتُ عن هذا الموضوعِ."

وأسرعَ يفتحُ "الشوال" ، ويُخرِجُ منه أحدَ أعدادِ "المجلة الزراعية" ، ورفعَهُ قائلاً: "هنا تحدَّثوا كثيرًا عن زراعةِ الذرةِ."

وتحمَّلتِ الخبيرةُ هذه المُقاطَعةَ ، وأكملَتْ حديثَها.

لكنْ عندما التفتَتْ لترسمَ شيئًا على السبورةِ ، أسرعَ أبو نحلةَ يُخرِجُ كومًا من المجلاتِ ، انطلقَ يستعرضُها وهو يقولُ: "هذه مجلةٌ صدرَتْ منذُ أربعِ سنواتٍ .. وهذه منذُ ثلاثِ سنواتٍ .. وهذه منذُ سنةٍ واحدةٍ."

وعندما أرادَتِ الخبيرةُ استئنافَ حديثِها ، تَظاهَرَ بأنه لم يرَها ، وانطلقَ يقولُ: "وهذا العددُ ظهرَ منذُ ١١ شهرًا ، ... "

هنا لم تتحمَّلِ الخبيرةُ أكثرَ من ذلك، وقاطَعَتْه قائلةً فى حزمٍ: "سأعطيك دقيقةً واحدةً لتضعَ كلَّ هـذه المجلاتِ فى حقيبتِكَ !!" تقصدُ "شواله"!!

وفوجِئَ أبو نحلة بقسوةِ الضيفةِ ، فقد ظـنَّ أنـها ستُجامِلُهُ ، وتتركُهُ يصلُ إلى عددِ المجلةِ الذى صدرَ منذُ شهرٍ واحدٍ !!

والغريبُ أنه فى اليومِ التالى، دخـلَ أبـو نحلـةَ قاعةَ التدريبِ يحملُ "زكيبة" أثقلَ من "الزكيبةِ" الأولى، وانتهزَ أولَ لحظةِ سكوتٍ من الخبيرةِ ، وأخرجَ هذه المرةَ كتابًا ، أسرعَ يقولُ عنه قبلَ أن تُسكِتَهُ : "وهذا أحدثُ كتابٍ فى زراعةِ الذرةِ ، أهدَتْهُ لى ابنتى، التى حصلَتْ على الثانويةِ العامةِ فى العامِ الماضى!!"





فشل للجميع مع " أبو نحلة "!!

من حكاياتِ "أبو نحلة" ، ابنِ قريتى شارونة ، أنهم سألوه ذاتَ مرةٍ ، أيُّهما تُفضّلُ: "أن تنجحَ وينجحَ معك الآخرون ، أم أن تفشلَ ويفشلَ معك الآخرون؟"

تَظاهرَ أبو نحلة بأنه يضحكُ ، وقالَ : "مَنْ هذا الذى يتحدّثُ عن نجاحِ الآخرين ؟! إننى أفضّلُ أن نفشلَ جميعًا ، عن أن ينجحَ أحدٌ غيرى!!"

قالَ السامعون بعضُهم لبعضٍ فى إشفاقٍ : "ها هى نحلةُ الحقدِ تزنُّ ثانيةً فى مخّهِ !!"

النحلة التى تزن على لسانه!!

دخلَ "أبو نحلـةَ" بيتَهُ فى قريةِ شارونة ، فوجدَ ابنتَهُ ، التى حصَلَتْ على الثانويةِ العامةِ فـى العـامِ المـاضى ، تبكـى، فسـألَها : "مالَكِ؟" قالَتْ من بينِ شهقاتِها : "زميلـةٌ من زميلاتـى قـالَتْ لى إن أهلَ البلدِ يقول بعضُهم لبعضٍ : "لا تصدِّقوا كلمـةً واحـدةً يقولُها أبـو نحلة .. كلامُهُ كلُّهُ كَذِبٌ فى كَذِبٍ !!"

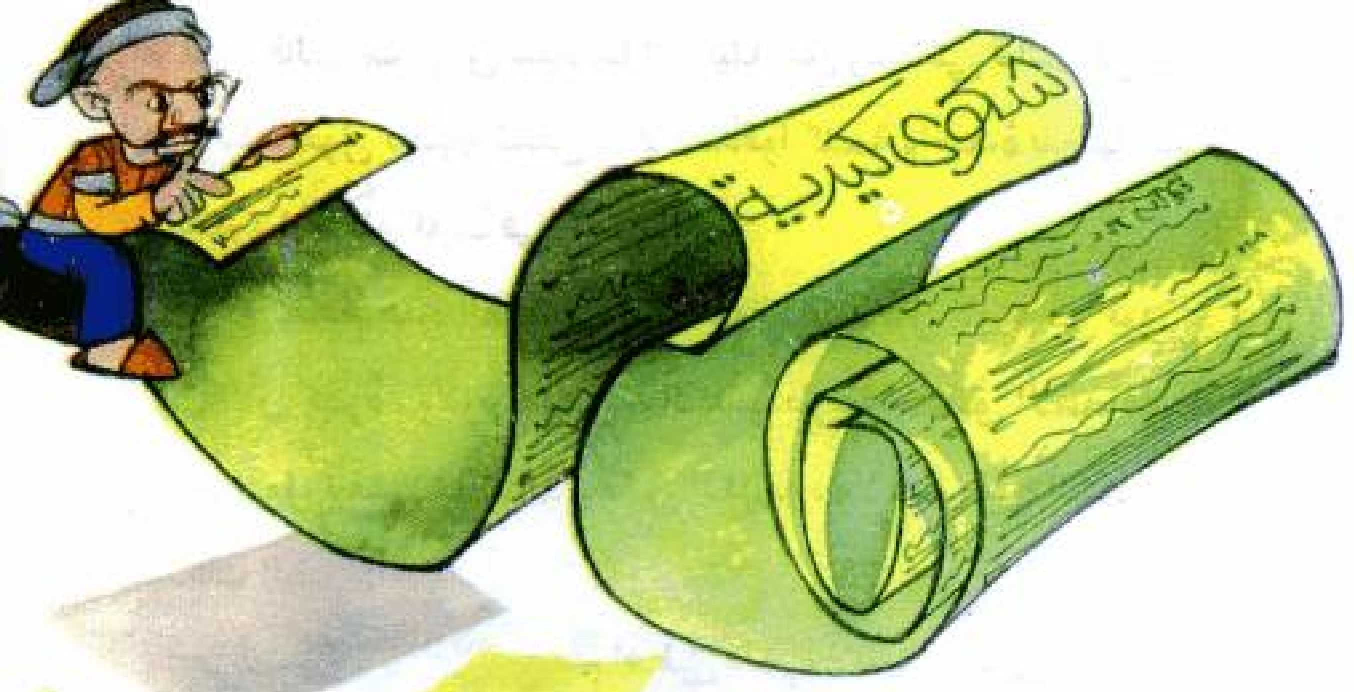
لم تصدمْ هذه الكلماتُ "أبو نحلة" ، لكنه قالَ لابنتِهِ فى برودٍ: "أنتِ الآن كبيرةٌ ، ولازم تفهمى .. الكذبُ طريقةٌ لتحقيقِ الأهدافِ.. ودائمًا أقولُ لنفسى : اكـذبْ ، وكرِّرِ الكذبـةَ ، ولا تملَّ من الكـذبِ ، يصدِّقْكَ الناسُ !!"

ثم أعطى ظهرَهُ لابنتِهِ ، لكـى لا يسـمعَ منها شيئًا آخرَ.

لكنَّ ابنتَهُ همسَتْ لنفسِها: " إنه لم يسمعْ بقيةَ مـا قالَتْهُ زميلتـى.. لقد قـالَتْ: النـاسُ ظلُّوا يصدِّقونَ "أبو نحلة" سنةً بعدَ أخرى . أمَّـا الآنَ، فكلما سمعوه يحكى حكايةً ، أو يذكرُ خبرًا ، أو يـذمُّ فـى الآخريـنَ ، يبتسمونَ فـى سـخريةٍ ويقولون: ها هى نحلةُ الكذبِ عادَتْ تزنُّ على لسانِهِ !!"

الناس تحسبِ حساب "أبو نحلة"!!

يقولونَ في قريتي شارونة، إنهم سمعوا أبو نحلة يهمسُ ذاتَ مرةٍ لأحدِ المُقرَّبينَ إليه:



" لكي يحسبَ الناسُ لكَ ألفَ حسابٍ ، عليكَ أن تُطلِقَ الإشاعاتِ ، وأن تعملَ على تلويثِ سمعةِ الشُّرفاءِ ، وأن تُلفِّقَ التُّهمَ للأبرياءِ ، وأن تكتبَ الشكاوى الكيديةَ بغيرِ توقُّفٍ ضدَّ الآخرينَ . وإذا سألوكَ : لماذا ترتكبُ كلَّ هذه الجرائمِ ، قلْ : إنها المنافسةُ !!"

ونحن نستبعدُ أن يكونَ هناكَ مَنْ سمعَ "أبو نحلة" يقولُ شيئًا من هذا، حتى لزوجتِهِ ، لكننا نعرفُ أنه يفعلُهُ أكثرَ منه ، ولهذا يسخرُ أهلُ قريتي من كلِّ شيءٍ يسمعونَهُ من "أبو نحلة" ، وهم يؤكِّدونَ حكايةَ نحلةِ الحقدِ التي تزنُّ في مخِّهِ وقلبِهِ ، ونحلةَ الكذبِ التي تزنُّ على لسانِهِ !!